

الفصل السابع
الجات كتجارة حرة للنخبة

مدخل:

اتخذ المجلس الاقتصادي والاجتماعي (conseil économique et social) التابع لمنظمة الأمم المتحدة في فبراير سنة (1946م) قرارا بعقد مؤتمر دولي لبحث مشكلات التجارة الدولية (commerce international) ، أما الدورة الثانية لهذه اللجنة فقد تم عقدها في جنيف من ابريل إلى اكتوبر سنة (1947م) ، وانتهت إلى إعداد مشروع ميثاق للتجارة الدولية يتضمن إنشاء منظمة دولية للتجارة.

وبعد مفاوضات جانبية، ولد ما يعرف بالاتفاقية العامة للتعريفات والتجارة (G.A.T.T) والتي أبرمت في (1947/03/30م) وبدأ سريانها منذ أول يناير سنة (1948م) ، وكان عدد الدول التي تشكلت منها في البداية (23) دولة من بينها الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وإنجلترا، وحلت تلك الاتفاقية محلها الآن اتفاقية "منظمة التجارة العالمية".

فماذا تعني الجات(G.A.T.T) بالنسبة للبلدان النامية؟ وما هي الجوانب الخفية التي تحاول الولايات المتحدة عدم الترويج لها؟.

المبحث الأول

الإطار العام للاتفاقية

(الجات) مختصر لمفهوم لاتيني للاتفاقية العامة للتجارة والتعرفة الجمركية التي أقيمت سنة (1947م) كإطار مؤقت لتنظيم التجارة الحرة، كونيا، هذا التنظيم الكوني أو الكوكبي غير المتجانس يضم في عضويته (117) بلدا وأن باب العضوية مفتوح لجميع بلدان العالم من دون استثناء. وأحكام الجات (G.A.T.T) لتحرير التجارة الكونية متشعبة وتغطي معظم القطاعات، إلا أن فصولها البالغة الثلاثين لم تكن تتضمن حتى سنة (1993م) قطاعات مثل الزراعة والخدمات والنسيج، وحاليا، صارت هذه القطاعات، بدءا من (1993/12/15م) جزءا من الاتفاقية.

تقوم الاتفاقية العامة للتعريفات والتجارة (G.A.T.T)، والتي تتضمن نشاطا شاملا للقواعد العامة التي تحكم العلاقات التجارية بين الأطراف وتقع في (35) مادة أضيفت لها في سنة (1965م) ثلاث مواد لتلبية مطالب الدول النامية (les pays en voie de développement)، على ثلاث مبادئ رئيسية هي: تحرير التجارة، وعدم التمييز بين الأطراف المتعاقدة، والاعتماد على الوسائل السعرية دون الكمية في تقييد الواردات¹.

1 - تحرير التجارة الدولية (commerce international) من القيود التعريفية وغير التعريفية، حيث تلتزم الدول الأطراف بالعمل على إزالة القيود التعريفية وغير التعريفية أو على الأقل تخفيضها. ويتم ذلك في إطار مفاوضات متعددة الأطراف تضم كل البلدان الأعضاء وتقوم على أساس مبدأ التبادلية (principe des échanges).

¹ الاقتصاد الدولي، د. زينب حسين عوض الله، دار الجامعة للطباعة والنشر، بيروت، سنة 1998.

2- عدم التمييز بين الدول المختلفة في المعاملات التجارية وهو المبدأ المعروف بشرط الدولة الأولى بالرعاية (le pays privilégié). وبموجب هذا المبدأ فإن أية ميزة تجارية يمنحها طرف لآخر لا بد أن تنسحب تلقائياً إلى كل الأطراف الأخرى دون مطالبة بذلك.

3- الحماية من خلال التعريفات الجمركية (tarif dwannier). حيث خصت الاتفاقية كقاعدة أساسية على الاعتماد على التعريفات الجمركية (tarifs douaniers) وعدم الالتجاء إلى الحواجز غير التعريفية ، كالقيود الكمية أو نظام الحصص أو حظر الاستيراد، إلا في حالات طارئة نصت عليها الاتفاقية صراحة في حالات الزراعة ، أو عجز خطير في ميزان المدفوعات ، أو حالة الزيادة المفاجئة للواردات من سلعة معينة، مما يهدد الإنتاج المحلي بأضرار جسيمة.

وانطلاقاً من ذلك، تعتمد ميكانيزمات (آليات) الاتفاقية على جملة من الإجراءات التي لا تختلف عن الإجراءات العشرية المعتمدة من قبل صندوق النقد الدولي (fonds monétaire international) والتي تتضمن: رفع الدعم الذي تقدمه الدول لقطاعها الاقتصادية سيما الإنتاج الزراعي بنسب تتراوح ما بين (5-25%) خصخصة القطاعات الحيوية، وتخفيض الرواتب والأجور وإلغاء الحوافز (نسبة التخفيض في الأجور تتراوح ما بين 15-50%) ، وإنهاء سيطرة الدولة على قطاع المال (الصرافة، التحويل الخارجي، البورصة). من الإجراءات التي تمثل في القانون الدولي تدخلات سافرة في الشؤون الداخلية للدول المستقلة ذات السيادة.

إن الجات (GATT) هي رأس الحربة للشركات الأخطبوطية العملاقة التي لا تعرف غير الاستغلال البشع لثروات الأمم والشعوب ، إنها مؤسسات استعمارية كولونيالية بكل معنى الكلمة. وهذا سر أسباب المعارضة الشديدة التي واجهتها الولايات المتحدة في مساعيها لفرض شروطها على الحلفاء وبلدان العالم الأخرى . ذلك أن البلدان تدرك تماماً

المخاطر المترتبة على فتح أسواقها لكل ما هب ودب من المنتجات والخدمات القادمة من الولايات المتحدة.

وقد لا يدرك الكثيرون أن الهدف الذي تسعى إلى بلوغه المؤسسة الأمريكية من هذه الاتفاقية ليس سياسيا واقتصاديا فحسب وإنما ثقافيا وفكريا بدليل أن فرنسا مثلا عارضت بشدة المصادقة على الاتفاقية ما لمتنازل أمريكا عن مطالبها بتصدير (ثقافة المتعة الأمريكية) لفرنسا وأوروبا والعالم.

وإذا كان الأوروبيون قد نجحوا جزئيا في إيقاف بعض تحركات غول (الناحات) في المجالات الفكرية والتربوية فإن أكثر المراقبين السياسيين والاقتصاديين يقرون بأن عصرا أمريكيا متوترا وأزمات اقتصادية وسياسية وصراعات علنية ومخفية سوف تبرز على السطح وأبرزها حرب الخليج الثالثة وتداعياتها الراهنية والمستقبلية.

المبحث الثاني

الدول النامية والجات

لم تكن تلك المبادئ التي تحكم نظام الـ (GATT) متفقة والمبادئ الأساسية التي قامت عليها استراتيجيات الدول المتخلفة للتنمية، كما أنها لم تأخذ بعين الاعتبار ظروفها الخاصة. ومن ثم انصرفت الدول النامية (les pays en voie de développement) إلى إنشاء منظمة أخرى أكثر استجابة لمتطلبات التنمية، بهدف تنظيم التجارة الدولية (commerce international) على أساس ومبادئ مختلفة تماماً عن تلك التي قامت عليها الـ (GATT)، وأدى ذلك إلى إنشاء مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية المعروف بالانكباد (UNCTED).

مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية (UNCTED)

تأسس هذا المؤتمر باعتباره جهازا دائما من أجهزة الجمعية العامة للأمم المتحدة (O.N.U) في (1964/12/20م) ، على أساس توصيات المؤتمر الأول للتجارة والتنمية الذي عقد في جنيف سنة (1964م) ، بهدف تنظيم التجارة الدولية (commerce international) على أسس مختلفة تماما عن تلك التي قام عليها نظام الـ (G.A.T.T). وقد جاءت (الانكساد) انعكاسا لاستراتيجيات التنمية التي سادت خلال الستينات و كرد فعل لمطالب الجنوب (SUD) في مواجهة الشمال (NORD) ، وبالتالي، لم يعلق المؤتمر أهمية كبيرة على تحرير التجارة الخارجية للبلاد النامية ، ولم يأخذ بمبدأ عدم التمييز، وطالب بوجوب قيام النظام التجاري الدولي على أساس إعطاء مزايا خاصة للبلاد النامية دون غيرها، ورفض (مبدأ التبادلية) (principe des échanges) في المفاوضات متعددة الأطراف.

وإجمالا، كان الغرض الرئيسي من مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية هو توفير فرص التعاون الدولي للعمل على حل مشكلات التجارة الدولية (commerce international) ، وخاصة تلك المشكلات التي تواجه تجارة الدول النامية (les pays en voie de développement) .

ويضم المؤتمر كل الدول الأعضاء في الأمم المتحدة (ONU) وكذلك التي لا تنتمي إليها ولكنها عضو لواحدة أو أكثر من الوكالات المتخصصة وبالرغم من أن المؤتمر ظل يعقد دورة كل أربع سنوات من تاريخ انعقاده في جنيف سنة (1964م)، إلا أن الملاحظ حتى الآن أن موقف الدول الصناعية المتقدمة منه لا يزال جامدا فضلا للأسباب التالية:

- نتائج المؤتمر تؤخذ على أساس التوصيات، وليس لها طابع الإلزام.

- موقف مجموعة الدول المتقدمة (les pays développés) المتشدد لعدم زعزعة منظمة الـ (G.A.T.T) في توليها مهام تنظيم التبادل التجاري الدولي ، وشعور هذه المجموعة بأنها ستتحمل العبء الأكبر جراء التخفيضات الجمركية التي أوصى بها المؤتمر، فضلا عن عدم إحراج التكتلات الاقتصادية في دول هذه المجموعة.

- عدم موافقة الدول الاشتراكية (les pays socialistes)، وقتذاك، على بعض مشاكل التجارة في مجموعة الدول النامية (les pays en voie de développement) بحجة عدم اتفاق الأحكام التي تنظم سوقها مع آليات السوق الرأسمالية (capitalisme).

و كنتيجة حتمية لما سبق ذكره فقد تغيرت توصيات مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية في التنفيذ العملي، ولعل أهم أعمال هذا المؤتمر هو مولد وحدة الدول النامية (les pays en voie de développement) من بين أعضاء هذا المؤتمر وقيام مجموعة الـ (77) التي عقدت أول اجتماع لها في الجزائر سنة (1967م). وما تجدر الإشارة إليه أن أعمال مجموعة الـ (77) لم تخرج عن المضمون العام الخاص بتحسين شروط التبادل التجاري الدولي، واتخاذ الترتيبات السلعية، وإلغاء القيود الجمركية وخاصة المستحدثة منها، والحد من تقلبات الأسعار، وعرض هذه الموضوعات على مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية التي لم تصادق على قراراتها الإيجابية تذكر في مجال التنفيذ.

المبحث الرابع

المفاوضات والتوصيات

جاءت اجتماعات (C.N.U.C.E.D) الثانية، و(C.N.U.C.E.D) التالية، فأكدت الطابع العام للمفاوضات بين الشمال والجنوب (Nord-sud). ولكن لم تأت بجديد كثير، إلا أنها، مع ذلك، أتاحت تعيين علاقات المشاكل الطارئة (C.N.U.C.E.D)، وتوضيح هذه المشاكل، وذلك فيما يتعلق، خصوصا، بدور الشركات المتعددة الجنسية وتحويل التكنولوجيا وإصلاح نظام الاجازات، والصلة بين حقوق السحب الخاصة وإصلاح النظام النقدي الدولي، وكذلك عبء ديون البلدان النامية،¹ انحلال تلك الفترة، انعكست في كتابة العديد من الدراسات، والطرورات التي تبرز مطالب العالم الثالث (le tiers monde)، التي غالبا ما تتعارض مع رؤى ونتائج المنظمات الاقتصادية الدولية الأخرى، مثل الـ (G.A.T.T)، والبنك الدولي (banque mondiale) للإنشاء والتعمير (BIRD) وصندوق النقد الدولي (fonds monétaire international).

وقد مثلت هذه المجموعة دورا أساسيا بالنسبة إلى البلدان النامية، لأنها وفرت لها إطارا نظاميا استطاعت، انطلاقا منه، إدراك مسلمات النظام القائم وحقائقه المؤكدة. وعلى أساس هذه الدراسات استندت المقررات التي تبنتها المؤتمرات الوزارية التي عقدها مجموعة فريق الـ (77) ومؤتمرات قمة بلدان عدم الانحياز (les pays non alignés) واستوحت أهدافها.

في سنة (1970م)، كان قد تم تبني استراتيجية الخطة الإنمائية العشرية الثانية، ومع التسليم بمحدودية جدواها، تميزت هذه الاستراتيجية بالأهمية لأنها للمرة الأولى منذ التحليل الذي قدمته لجنة الأمم المتحدة

¹ حوار الشمال والجنوب، معهد الإماء العربي، 1981م، بيروت.

الاقتصادية الخاصة بأمريكا اللاتينية (CEPAL) حاولت أن تقيم فهما اندماجيا للتطوير، قائما على استراتيجية جامعة.¹

باستثناء هذه المبادئ الكبيرة ، لم يتحقق سوى شيء واقعي قليل حتى سنة (1970م) . ومنذ بداية السبعينيات أخذ إطار العلاقات بين الشمال والجنوب يتغير للأسباب التالية :

- نجحت ميوعة عامة عن افيار (breton world) النقدي، وعن تدني سعر الدولار.

- أبرزت سلسلة مؤتمرات الأمم المتحدة، التي بدأت بمؤتمر البيئة سنة (1972م) ، وتتابعت المؤتمرات الخاصة بالسكان والتغذية وقانون البحار، فكرة ترابط المشاكل والحلول وتفاعلها المتبادل . وهكذا ظهر في مؤتمر (استوكهولم) ، الذي انعقد سنة (1972م) ، وتناول موضوع الوسط البشري ، موقف البلدان النامية القائل بواقع التفاعل المتبادل بين البلدان ، والمشدد على ضرورة المحافظة على المصادر الطبيعية، وضرورة إدارتها إدارة حكيمة من أجل رفاه سكان الكرة الأرضية والأجيال القادمة.

- تحقق تقدم هام في مضمار إيديولوجيا الإنماء وتم طرح فكرة التطور الأفقي الذي يتعين على البلدان النامية أن تمر عبره ولكن هذه الأخيرة خاب أملها بسبب النتائج العملية الحاصلة على مستوى التعاون الدولي.

إلا أن حدثين هامين وقعا في سنة (1973م) يمكن اعتبارهما مسئولين، إلى حد بعيد، عن الجدل القائم حاليا حول النظام الاقتصادي الدولي الجديد (N.O.E.I) ، وقمة البلدان غير المنحازة الرابعة في الجزائر، وأزمة الطاقة المفتعلة في أكتوبر كحيلة لإعادة النظر في أسعار البترول، وبالتالي بروز (O.P.E.C) كأداة قوية في أيدي المنتجين للبترول.

¹ حوار الشمال والجنوب، مرجع سبق ذكره ، أيضا من استراتيجية الخطة العشرية للتطوير الدولي التي وضعتها الدورة الثامنة للأمم المتحدة ، الجمعية الصومالية، القرو رقم (2625) .